هو العليم

تفسير السيد الحدّاد لحقيقة اللعن الوارد

في دعاء علقمة و بعض الأدعية الأخرى

بحث منتخب من «الروح المجرّد»

إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي

@MadrastAlwahy

أعوذُ بالله منَ الشيطانِ الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنةُ الله على أَعدائِهم أجمَعين

في يوم **تاسوعاء** جرى قراءة **زيارة عاشوراء** في منزله، ثمّ اللعن مائة مرّة والسلام مائة مرّة، ثمّ قُرئ دعاء علقمة بعد صلاة الزيارة؛ فسأل أحد الحاضرين في نهاية الدعاء: كيف تنسجم هذه اللعنات الشديدة الأكيدة بهذه المضامين المختلفة مع روح الإمام الصادق عليه السلام التي كانت مركزاً ومنبعاً للرحمة والمحبة؟! ففي هذا الدعاء الذي يبدأ بـ«**يَا اللهُ يَا اللهُ يَا اللهُ يَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ**» يصل إلى القول:

اللَهُمَّ مَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ! وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ! وَاصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُ وَمَكْرَهُ وَبَأْسَهُ وَأَمَانِيَّهُ! وَامْنَعْهُ عَنِّي كَيْفَ شِئْتَ وَأَنَّى شِئْتَ!

اللَهُمَّ اشْغَلْهُ عَنِّي بِفَقْرٍ لاَ تَجْبُرُهُ، وَبِبَلاَءٍ لاَ تَسْتُرُهُ، وَبِفَاقَةٍ لاَ تَسُدُّهَا، وَبِسُقْمٍ لاَ تُعَافِيهِ، وَذُلٍّ لاَ تُعِزُّهُ، وَبِمَسْكَنَةٍ لاَ تَجْبُرُهَا!

اللَهُمَّ اضْرِبْ بِالذُّلِّ نَصْبَ عَيْنَيْهِ، وَأَدْخِلْ عَلَيهِ الفَقْرَ فِي مَنْزِلِهِ، وَالعِلَّةَ وَالسُّقْمَ فِي بَدَنِهِ؛ حتّى تَشْغَلَهُ عَنِّي بِشُغْلٍ شَاغِلٍ لاَ فَرَاغَ لَهُ، وَأَنْسِهِ ذِكْرِي كَمَا أَنْسَيْتَهُ ذِكْرَكَ، وَخُذْ عَنِّي بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ وَقَلْبِهِ وَجَمِيعِ جَوَارِحِهِ، وَأَدْخِلْ عَلَيهِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ السُّقْمَ، وَلاَ تَشْفِهِ

حتّى تَجْعَلَ ذَلِكَ لَهُ شُغْلاً شَاغِلاً بِهِ عَنِّي وَعَنْ ذِكْرِي. وَاكْفِنِي مَا لاَ يَكْفِي سِوَاكَ؛ فَإنَّكَ الكَافِي لاَ كَافِيَ سِوَاكَ، وَمُفَرِّجٌ لاَ مُفَرِّجَ سِوَاكَ، وَمُغِيثٌ لاَ مُغِيثَ سِوَاكَ، وَجَارٌ لاَ جَارَ سِوَاكَ.[1]

فكان جوابه على ذلك: أنّ هذا الدعاء كلّه طلب للخير والرحمة، بالرغم من ظهوره بعبارات وكلمات اللعن. وبشكل عامّ فإنّ جميع اللعنات التي ترد على لسان الله تعالى أو على لسان النبيّ والائمّة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي كلّها خير محض؛ فلا ينضح عن الله وأوليائه غير الخير.

وتنصبّ جميع هذه اللعنات على الشخص المعتدي، لا المؤمن المتّقي المشغول بعمله؛ فمهما أُعطي ذلك المعتدي الظالم عمراً وصحّة وقدرة، صرفها جميعاً في إضراره بالآخرين واعتدائه على حرمة المظلومين. ومن ثمّ فإنّ في تحديد سلامته وقدرته وحياته دفعاً للضرر، ودفع الضرر ليس في الحقيقة إلاّ نفعاً. وقد يخيّل إلينا بهذه النظرة الطبيعيّة والحسّيّة أنّ الخير هو على الدوام في السلامة والقدرة والحياة، من دون ملاحظة لواقعيّة الحياة في النيّة الحسنة أو السيّئة وفي الإرادة الحسنة أو السيّئة وفي الاعتقاد الحسن أو السيّئ، لكن الأمر ليس كذلك إذ ينبغي أيضاً ملاحظة المعنى؛ فالحياة خير للإنسان حين تكون منشأ خير لنفسه وللآخرين، أمّا لو صارت منشأً للشرّ، فإنّ إطالة عمره وزيادة سلامته وصحّته وزيادة قدرته ستؤدّي إلى ظلمه لنفسه وتعدّيه وتجاوزه على حرمة البشريّة، ولا خير في تلك الحياة هنا، ولا يصدق عليها عنوان الخير.

وفي هذه الحال وفي هذا الفرض، فإنّ ضدّه سيكون خيراً. أي أنّ الموت والمرض والمسكنة لهذا الرجل خير، ولو لم يكن هو أو الآخرون يعلمون بذلك. فحين يستأصل مبضع الجرّاح عضواً فاسداً، فإنّه يقوم بعمل خير ولو استلزم المرض والتخدير وإراقة دم المريض

[1] دعاء عَلْقَمة المعروف، في «زاد المعاد» للمجلسيّ، ص ٣٠٥، الباب ٦، في أعمال شهر المحرّم، طبعة الحاجّ الشيخ فضل الله نوري، بخطّ مصطفي نجم آبادي، سنة ١٣٢١.

وتناول الأدوية المرّة؛ وعلى الرغم من أنّ ذلك العضو الفاسد يعتبر نفسه صالحاً، إلاّ أنّ الحقيقة ليست كذلك[١].

وليست الرحمة مقرونة دائماً بالسمنة وتناول الاغذية الدسمة والحلويّات، بل هي أحياناً في الهزال وتحمل الجوع والقنوع بتناول الأطعمة البسيطة. ومن شأن الطفل أن يطلب من أبيه الحلويّات، لكنّ أباه العطوف لا يعطيه ذلك دوماً بل يعطيه منها أحياناً وبقدر معيّن، فذلك خير للطفل ورحمة. كما أ نّه يُعطيه أحياناً المسهل والمرّ، ويزرقه أحياناً أُخرى بحقن الدواء، ويُرقده على سرير المستشفى لإجراء عمليّة جراحيّة، ويمنعه من اللعب؛ فلا يرضى الطفل بهذا الأُسلوب، لا نّه يرغب دوماً في الركض واللعب وتناول الحلوى، لذا فإنّه ينتقد أباه لحصره ولمنعه له ولربّما خطر في باله أنّ أباه عدوّ له وشخص يتعمّد إيذاءه! لكنّ حقيقة الامر وواقعه

---

[١] ينقل في هامش «مفاتيح الجنان» ص ٣٥١ و ٣٥٢، كتاب الباقيات الصالحات، الفصل ٤، من الباب ٤، الطبعة الإسلامية، بخطّ طاهر خوش نويس، سنة ١٣٧٩ ه.ق دعاء عن الإمام محمّد التقيّ عليه السلام أنّ الرسول الاكرم صلّي الله عليه وآله كان يقول حين يفرغ من الصلاة: **اللَهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَإسْرَافِي عَلَي نَفْسِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. اللَهُمَّ أَنْتَ المُقَدِّمُ وَالمُؤَخِّرُ لاَ إلَهَ إلاَّ أَنْتَ بِعِلْمِكَ الغَيبَ وَبِقُدْرَتِكَ عَلَي الخَلْقِ أَجْمَعِينَ. مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيراً لِي فَأَحْيِنِي، وَتَوَفَّنِي إذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيراً لِي** إلي آخر الدعاء. وورد في «الصحيفة الكاملة السجّادية» ضمن دعاء الاستخارة وهو الدعاء الثالث والثلاثين: **وَأَلْهِمْنَا الانْقِيادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَينَا مِن مَشيتِكَ حَتَّي لاَ نُحِبَّ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ وَلاَ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلاَ نُكْرِهَ مَا أَحْبَبْتَ وَلاَ نَتَخَيرَ مَا كَرِهْتَ.** وفي نهاية دعاء أبي حمزة الثماليّ الذي يقرأ في أسحار شهر رمضان(والوارد في «مفاتيح الجنان»: ص ١٩٨) يضرع الإمام زين العابدين عليه السلام في فناء ربّ العزّة: **اللَهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ إيمَاناً تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي، وَيقيناً حَتَّي أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يصيبَنِي إلاَّ مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضِّنِي مِنَ العَيشِ بِمَا قَسَمْتَ لِي، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.** ومعني «**إيمَاناً تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي**»: يا ربّ لتكن لك أنت المباشرة في قلبي وفي اختيار أُموري، واسلبْ بهذه المباشرة ـ بلا رادع أو مانع من إرادتي واختياري أو إرادة واختيار آخر كلّ إرادة لي في محيط الاعمال والافعال والصفات والعقائد والقصد والنية، واجعل إرادتك بدل إرادتي، أي لتكن إرادتي عين إرادتك. وهو معني عظيم في مقام التوحيد ودرجة عالية عرفانية. والجدير بالملاحظة هنا أنّ هذه الفقرات المشتركة تتكرّر في جميع أدعية العشر الثالثة من ليالي شهر رمضان المبارك، بالرغم من اختلاف الادعية في مضامينها الأُخرى: **لَكَ الاَسْمَاءُ الحُسْنَي وَالاَمْثَالُ العُلْيا وَالكِبْرِياءُ وَالآلاء، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَي مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَجْعَلَ اسْمِي فِي هَذِهِ اللَّيلَةِ فِي السُّعَدَاءِ وَرُوحِي مَعَ الشُّهَدَاءِ وَإحْسَانِي فِي عِلِّيينَ وَإسَاءَتِي مَغْفُورَةً، وَأَنْ تَهَبَ لِي يقِيناً تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي وَإيمَاناً يذْهِبُ الشَّكَّ عَنِّي وَرَضِّنِي بِمَا قَسَمْتَ لِي**.(«مفاتيح الجنان» ص ٢٢٨ إلي ٢٣٣) كما ورد في «الصحيفة العلوية الثانية» ص ٥٢، الطبعة الحجرية، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **اللَهُمَّ مُنَّ عَلَي بِالتَّوَكُّلِ عَلَيكَ وَالتَّفْوِيضِ إلَيكَ وَالرِّضَا بِقَدَرِكَ وَالتَّسْلِيمِ لاِمْرِكَ، حَتَّي لاَ أُحِبُّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلاَ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ؛ يا رَبَّ العَالَمِينَ.**

غير ذلك، فلقد كانت جميع تصرّفات الاب خيراً للطفل ورحمة لا نّها توجب حياته ولو جهل الطفل ذلك ولم يرضه. لذا نرى الأب ينزعج كثيراً ممّا ينتاب طفله من سوء، فيستعصي عليه النوم ويقف في المستشفى ساهراً عند سرير طفله وهو ما يمثِّل عين الرحمة.

وقد تتجلّى الرحمة أحياناً في مجال الإعطاء وتقديم الحلوى، وأحياناً في المنع وزرق المغذّي في الوريد، وكلاهما رحمة بمظهَرينِ وكيفيتَينِ.

ولقد جاء الانبياء والائمّة من أجل الحياة الحقيقيّة والسعادة الخالدة للبشر وتركّزت رسالاتهم وانصبّت في هذا المجال، لذا فأينما تعارضت الحياة الواقعيّة الحقيقيّة مع الحياة الطبيعيّة، والصحّة الحقيقيّة مع الصحّة المجازيّة، والقدرة الاصيلة مع القدرة الاعتباريّة؛ غضّوا عن الثانية لحفظ الأولى . فهم يُصدرون الأمر بالجهاد فيقتلون المشركين والكفّار ويؤدّبون المنافقين ويعاقبون المجرمين، وهي جميعاً خير لإيصال الشخص المعتدي والظالم للهدف الإنسانيّ الرفيع.

كما أنّ عرك الأُذن للتأديب، والإصابة بالإقعاد، والفقر والفاقة، والمرض وانحراف الصحّة هي خير جميعاً، لأنّها تنبّه الإنسان وتعيده لنفسه، وتقلّل من التمادي والغرور للنفس الأمّارة وتمنح الإنسان أصالة، فهي خير ورحمة إذاً ـ انتهى مفاد ومحصّل جواب السيّد.

ويشاهد نظير هذا الدعاء في الكثير من الأدعية المرويّة عن الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بينها دعاء الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين على بن الحسين عليهما السلام الوارد في « الصحيفة الكاملة » في شأن حرّاس وحَفَظَة ثغور الإسلام والمسلمين؛ فهو بعد أن يدعو لهم دعاء الخير والرحمة مفصّلاً، يدعو في ساحة الربّ بشأن أعدائهم الذين يواجهونهم:

اللَهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، وأقلم عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ، وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَاقْطَعْ عَنْهُمُ المَدَدَ، وَانْقُصْ مِنْهُمُ العَدَدَ، واملأ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ البَسْطِ، واخرم

أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ، وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ.

اللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلاَبَ رِجَالِهِمْ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، لاَ تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَلاَ لأرضهم فِي نَبَاتٍ![١]

[ملاحظة: لقد تم انتخاب هذا المقال من كتاب الروح المجرّد لمؤلّفه سماحة العلاّمة آية الله الحاج السيّد محمد الحسين الحسيني الطهراني رضوان الله عليه، فننصح من أراد الازدياد أن يراجع الكتاب المذكور]

[١] الدعاء السابع والعشرون من دعائه عليه السلام لأهل الثغور: الفقرتان ٥ و ٦.